

مدخل في أنثروبولوجيا الرعاية والرفاه

المدرس الدكتور ياس خضر عباس العباسي

الجامعة المستنصرية/كلية الآداب/قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

البريد الإلكتروني: [yassoo2oo7@yahoo.com](mailto:yassoo2oo7@yahoo.com)

كلمات مفاتيح: الرعاية، الرفاه، الانثروبولوجيا الثقافية، الضمان الاجتماعي

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

# مدخل في أنثروبولوجيا الرعاية والرفاه

المدرس الدكتور ياس خضر عباس العباسي

٢٠١٣

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ

المطففين / ٢٤

## مدخل في أنثروبولوجيا الرعاية والرفاه

المدرس الدكتور ياس خضر عباس العباسي

### ملخص العربية:

حتى وقت قريب، كان هناك فقط أدب متشطي متباين، عن أنثروبولوجيا الرعاية، غير المرتب او المفحوص وغير المميز نظريا. ومع ذلك، ان الندرة النسبية للوظائف في المؤسسات الأكاديمية في عقد السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي دفع العديد من علماء الأنثروبولوجيا في بريطانيا والولايات المتحدة الاتجاه نحو الموضوعات التي تمتلك تركما نظريا وتطبيقيا أكثر من تلك التي في مجال الخدمة الاجتماعية، والصحة والمجتمع المحلي. ولكن في السنوات العشر الماضية أو نحو ذلك بدأ هؤلاء العلماء بنشر أعمال مبتكرة في هذا المجال، الذي قاد إلى آفاق جديدة مثيرة للاهتمام في القضايا التي قد تكون أحياناً البالية والتي لا معنى لها ربما في مجالات مثل علم الاجتماع أو علم النفس أو السياسة الاجتماعية. يهدف البحث الى التعريف بهذا الحقل المعرفي(انثروبولوجيا الرعاية)وعلاقته بمفهوم الرفاه من خلال التعريف بأهم الدراسات الاكاديمية المعاصرة في هذا المجال، وتنتج أهمية البحث نحو التعريف بتوجهات تلك الدراسات وماهية الموضوعات التي عملت على مناقشتها.

### Introduction to Anthropology of welfare and well-being

Dr. Yass Khadir Abbas Al-abbasi

#### Abstract:

Until recently, there was only a disparate, fragmented literature about the anthropology of welfare, which had not been collated and theorized distinctively. However, the relative paucity of jobs in academia in the 1970s and 1980s meant that many anthropologists in Britain and the US went into 'soft', more applied fields such as social work and community health. In the last ten years or so, these scholars have started to publish innovative work in this field, work that has led to interesting new perspectives on issues that have sometimes worn stale in fields such as sociology, psychology or social policy. The research aims at introducing this field of knowledge (Anthropology of welfare) and its relationship to the concept of well-being by definition the most important contemporary academic studies in this area, and the importance of research geared towards the definition of those studies trends and what subjects that worked on the discussion.

## المقدمة:

حدد الاستاذ (B. Malinowski) الهدف الاساس للأنثروبولوجيا عند تعريفه الوصاف او ما يعرف بالاثوغرافي بإيجاز: انه العارف لوجهة نظر الانسان المحلي، وعلاقته بالحياة، وتحقيق رؤيته لعالمه...ومقصده من ذلك العلاقة الحميمة للغاية معه...وانه في كل ثقافة، تكون القيم مختلفة قليلاً؛ وان الناس يطمحون وراء أهداف مختلفة، تتبع بواعث مختلفة، غرضهم فيما بعد شكلاً مختلفاً للسعادة. وعلينا ان ندرس النظم، والاعراف، والرموز، أو لدراسة السلوك والعقلية من دون رغبة ذاتية للشعور بما يعيشه هؤلاء الناس، لاجل تحقيق مضمون سعادتهم...اي لعدم تقويت أعظم الثواب الذي يمكننا أن نأمل الحصول عليه من دراسة الإنسان...

وحددت بعض تساؤلات الأستاذ (L. Strauss) نظرة الانثروبولوجيا للإنسان والبشرية في مذكراته الموسومة بـ(مداريات حزينة)بالقول: ما التحضر وما التخلف؟ ومن الذي يقرره وما المعيار؟ ما الذي يجعل تقليداً إنسانياً معيناً في صنف المتحضر وآخر في صنف المتخلف؟ هل من يوتوبيا لمجتمع بشري تكون المعيار الذي يقاس عليه؟ وهل ان المجتمعات الغربية التي يروج لها في عصرنا الحاضر على أنها أكثر الأشكال تحضراً، هل حقاً تختلف في مضمونها عن مجتمعات قبائل الأمازون؟ هل حقاً الإنسان العصري أقل توحشاً من رجل الأمازون البدائي؟ هل من فرق بين عري المجتمعين، اللهم إلا أن عري البدائيين يرافقه الخفر بعكس عري الآخرين المترافق بالإثارة؟ هل من فرق بين لا منطقية كثير من عادات وقوانين الكل؟ ما الذي يختلف لعمليات "تبشيع" الأنف الحالية ومنتف الحواجب عما يفعله رجال الأمازون من ادخال العصي بأنوفهم ومنتف رموشهم لأجل الجمال "التشويهي"؟ انه من الأفضل لرفاهيتنا انه إذا كانت البشرية قد بقيت في مرحلة العصر الحجري الحديث.

يمكن تحديد مفهوم الرعاية بأوسع معانيها كعملية تطبيع أو تحسين رفاة الأفراد والتنظيمات والمجتمعات المشروط. ويوجه النظر نحو الأشخاص الذين يتلقون

الرعاية، وأولئك الذين يمنحونها، والمؤسسات الاجتماعية، والمنظمات والشبكات التي تشارك في هذه العملية. اما الرفاه فيعرف بحالة الفرد او الجماعة او كلاهما معا التي توصف بالصحية والمبهجة او الميسورة. أو قد يشير الرفاه إلى أي من هذه الصفات الثلاث، ولكن في الحقيقة أن توضع هذه المصطلحات الثلاثة معا في تعريف ينطوي على الترابط. هذا يعني ان الرعاية تواصلية مستمرة وبالتالي متخصصة في حين ان الرفاه تقريرى وصفى للحال وبالتالي شمولي او اعمامي أكثر من ان يكون تخصصيا. يهدف البحث الى التعريف بهذا الحقل المعرفي(انثروبولوجيا الرعاية)وعلاقته بمفهوم الرفاه من خلال التعريف بأهم الدراسات الاكاديمية المعاصرة في هذا المجال، وتتجه أهمية البحث في التعريف بتوجهات تلك الدراسات وماهية الموضوعات التي عملت على مناقشتها.

### انثروبولوجيا الرعاية والتقسيمات السيسولوجية للمجتمع

ناقش الاستاذ(E. Durkheim)تقسيم المجتمع الى بسيط ومركب ومن ثم نوع التضامن الذي يسود في كل منهما، فالنوع الأول ذو تضامن ميكانيكي(Mechanical Solidarity) الذي يحصل بشكل طبيعي وعفوي والانتساب الى الجماعة الاولية والعشيرة والطائفة وتبني قيمها ومعتقداتها. اما النوع الثاني فانه ذو تضامن عضوي (Organic Solidarity) هو نتيجة تقسيم العمل الاجتماعي حيث تبرز أهمية الانسان الفرد وتشابك المصالح الاقتصادية التي تركز على الفرد.

ان هذا التقسيم للمجتمعات الى البسيطة والمعقدة يمكن ان يكون على أساس الملامح والفصل بين المجالات التي يمكن للفعاليات ان توجه نحو رفاه البشر، ومن ثم توزيع الرعاية الاجتماعية داخل المجتمع. اذ تتسم المجتمعات البسيطة بجميع أنشطة الرعاية الاجتماعية التي تجري كجزء من العلاقات الأولية المتعارف عليها، ووجها لوجه ضمن المعيشة المجتمعية الاعتيادية، بينما المجتمعات المعقدة، تميزت

بأساس قانوني وان تقديم الرعاية يكون بصيغة غير شخصية ولا تستند الى العلاقات الأولية التي بين الأفراد.

ومع ذلك، هذا التمييز قد ينهار بسرعة عندما يخضع للتدقيق في أي سياق اجتماعي، أي مع خصائص المجتمع البسيط المتضمنة في معظم المجتمعات المعقدة، وان المعقدة هي المعترف بها على نحو متزايد بوصفها تؤثر مباشرة على البسيطة. ان الحاجة إلى الرعاية هي النتاج والتوفير للرفاه والاستجابة لعلاقات القوة في المجتمع.

تحدث التبعية بغض النظر عما إذا كان المجتمع المعني بسيط أو معقداً. والسياسات مثل العناية بالمجتمع المحلي داخل المملكة المتحدة تستند إلى وجهة نظر المجتمع التي تشدد على خصائصه البسيطة، أي علاقات الوجه للوجه، وانه يقع على علاقات الأسرة والمجتمع المحلي الأساس التنفيذي.

القضية الأولية التي يمكن ان تكون متشابكة نحو اي جهد تطويري لحقل أنثروبولوجيا الرعاية هي اختلاف لغات الرعاية المستعملة في أجزاء مختلفة من العالم. اذ في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، تعرف الرعاية ببساطة، وتاماً المادية بوصفها ذلك المجموع من المساعدات المالية والعينية والبضائع التي تغذي أولئك الذين من دون دخل أو مدخرات. وتشير الرعاية في بريطانيا وعلى مدى السنوات الخمسين الماضية الى تقديم المساعدة عند الحاجة، من المهد إلى اللحد...

ان ما يجعل أنثروبولوجيا الرعاية واضحة هو التعامل مع مفهوم المجتمع المحلي بوصفه مفهوماً له معاني مختلفة سواء انه بين ثقافة واخرى او ضمن ثقافات معينة. أي ما يسعى علماء الأنثروبولوجيا للقيام باستكشافه هي هذه الفروق والنظر ما وراء المعن أو المتخيل للمجتمع المحلي لكي يتم اختبار طبيعته الحقيقية التي ينبغي

التكلم عنها، بما في ذلك الجماعات المحلية والأقارب، وجماعات الصداقة، والعمل، والشبكات الاجتماعية الأخرى وهذا غالباً ما ينطوي على أساليب مثل التحليل الدلالي والملاحظة المشاركة الطويلة الأجل (p1: 1) .

### التدوين للثقافة (التمثيل والانعكاس):

على الرغم من حداثة العلم من الناحية الأكاديمية التي قد لا تتجاوز القرن والنصف إلا أنه بنفس الوقت قد حقق نجاحات كبيرة على مستوى دراسة الفصيلة البشرية أو النوع الإنساني وبيان تلك الجوانب التي ترتبط بالبعد الفيزيقي واللغوي والآثاري والعلاقاتي والسلوكي لهذا الكائن.... التي يندرج كل واحد منها تحت لواء معرفي اتجه بدوره إلى أن ينقسم بفروع معرفية فرعية أخذت بالتزايد مع مرور الوقت تزياداً طردياً مع تطور العلم، وإن ذهب بعض الأكاديميين من غير الاختصاص إلى وصم العلم ببعض المسميات على أن منشأ السيطرة الاستعمارية أو ترعرع في أحضان الاستعمار... لاسيما عند التوجه نحو موضوع مثل الرعاية، والسبب في ذلك يعود إلى آليات التدوين للثقافة المدروسة ميدانياً.

التمثيل (Representation) بالنسبة للأنثروبولوجيا هو التوجه نحو مخزون القيم والأفكار، والمعتقدات والممارسات التي يتشارك بها أعضاء الجماعة أو المجتمعات المحلية وكيف لها أن تمثل من الأفراد عند نزول الإثنوغرافي إلى ميدانهم ووصفه لحالهم الذي قد يظهر بصيغة فعاليات أو تطبيقات طقوسية توضح تطبيقاتهم بالتشارك... وبالتالي مدى إمكانيته أو قدرته (الإثنوغرافي) في الانابة عنهم لهذا المخزون المتوافر في المجتمع أو الثقافة المدروسة.

أما الانعكاسات (Representation) فهي التي تعني كيفية تمثيل الجماعات أو كيفية عكس صورتها وما موقف الملاحظ أو الراصد (الإثنوغرافي أو غيره) في عمليات التدوين، إذ تعد الانعكاسية من الاهتمامات المعاصرة الشائعة لكل من

الرعاية والأنثروبولوجيا. ويمكن القول أن تمثيل الآخرين للأغراض الثقافية والسياسية والأخلاقية هو في صميم نشاط كل مهنة، وينظر إليها على أنها ابداع الواقع الاجتماعي وليس فقط تعكسه عند تدوين الثقافة لغويا ورمزيا، وربما هذا يجعل الخطاب للتمثيل، في ان يقوم على أساس العلاقات السياسية-الاقتصادية للإنتاج والاستهلاك، وقد يكون موضوع دراسة نقدية. وان التحليل النقدي لممارسة التمثيل قد أصبح موضوعا رئيسا في كلا من الأنثروبولوجيا ودراسات الرعاية، اذ انهما يتلاقيان في أشكال مختلفة من الانعكاسية واساس محوري للمهنتين. اذ في ممارسة العمل الاجتماعي، أصبحت الحاجة للممارسين الذين يدركون ثقافة المجتمع بل والقدرة على تحدي التفاوتات البنائية فيه والذي اصبح مطلبا تربويا في البرامج التدريبية الجديدة في الخدمة الاجتماعية لأجل تنمية الوعي بالتفاوت في الممارسين ومربيهم، ولعل المجلس المركزي للتعليم والتدريب في المجال الاجتماعي\*(CCETSW)خير مثال على ذلك الذي اخذت دوراته تسهم بالنهوض للتعليم والتدريب في مجال العمل الاجتماعي، من جهة، ومن جهة اخرى كيف يمكن لتجربة الكائن سواء كان أسوداً أم أبيضاً، ذكراً أم أنثى...ان يحرك الوعي والقيم وديناميات الحياة المهنية اليومية؟ فهذه الأسئلة لم تعرض للفحص إلا في السنوات القليلة الماضية. اذ ان الإشكالية من الممارس وان الوكالة الخدمية كانت السمة المميزة للمساواتية، والمناهضة للعنصرية، وانه في ممارسة الرعاية يتم تصميم تنمية مستحكمة للوعي البنائي يهدف إلى توعية العمال لقضايا القوة او السلطة في حالات الممارسة. هذا يعني ان هدف الانعكاسية في الأنثروبولوجيا هو التركيز على تأثير الذات في تطوير الاثنوغرافيا، كيف تؤثر الذات الضمنية، والنوع الاجتماعي(للباحث)في شكل ومضمون الاثنوغرافيا، فضلا عن التمييز بين الشخصي والتخصصي.

---

\* الاسم الصحيح Central Council for Education and Training in Social Work

## أنثروبولوجيا الرعاية والدولة الراعية:

تندرج في الوقت الحاضر الدراسة للرعاية إلى حد كبير ضمن مجال المتخصصين بالسياسات الاجتماعية، والاقتصاديين بشكل خالص، مع الرغبة نحو ظهور اهتمام متزايد بمناهج بديلة لدراساتها. ومثال ذلك دعوة الاستاذ (J. Clarke) الى ضرورة استعمال مفهوم التحول الثقافي (Cultural Turn) لأجل دراسة الموضوعات التي يعنى بها هذا المجال في دراسته: السياسة الاجتماعية ودراسات الرعاية عام (٢٠٠٤). أي كان غرضه من ذلك الإشارة الى تلك الحركة التي ظهرت بين الباحثين في العلوم الاجتماعية لجعل الثقافة محل تركيز النقاشات المعاصرة في مجال التخصص. والتعاون الذي قام به الاستاذ (A. Appadurai) مع خبراء الاقتصاد في البنك العالمي لتسليط الضوء على أهمية الأمل أو ما أضافه في العبارة التي هي مقدمة عنوان دراسته: القدرة على التطلع (The Capacity to Aspire) في ابداع او صياغة الرعاية، كما دعا المركز الثقافي الدانماركي (مجلس البحوث للثقافة والاتصالات) عام (٢٠٠٧) إلى إجراء دراسة للرعاية تكون قادرة على البحث ما وراء الارقام (p9: 2).

هذه التطورات التي حدثت خارج الأنثروبولوجيا يمكن لها ان تصب في مصلحة طويلة الأمد والمتجددة في موضوعات الرعاية والرفاه ضمن هذا الحقل المعرفي. وقد برز عدد من الرواد في هذا الصدد مثل (Edgar and Russell) اللذان عملا على تحرير كتابا تحت عنوان أنثروبولوجيا الرعاية، واندرجت ضمن تقاليد هذا الفرع المعرفي موضوعات تمثل الأقلية، والمستضعف، والمعتمد، والأقوياء... الذي صدر عام ١٩٩٨ (p3: 1).

لأجل قيام الأنثروبولوجيون بدراسة للرعاية كان عليهم النظر لموضوعاتها ضمن تقليد متطور لعلماء الأنثروبولوجيا وذلك بالتحدث عن أولئك الذين لا يمكن أن

يتحدثوا عن أنفسهم، كما ان الموقف أيضا قد تكامل تماما مع الفرضيات الأساسية للعمل الاجتماعي والرعاية المجتمعية والتدخلات العلاجية، التي كانت في جميع المجالات المشمولة بالمساهمين في هذا الكتاب.

وبينما فتح الكتاب أبواباً جديدة للدراسة الأنثروبولوجية المعنية بالرعاية، فإنه أيضا قد أعيق بالتفسير التقليدي لماهية الرعاية. اذ تنقيد الرعاية بوصفها المعنية فقط بأولئك الذين هم في حاجة تعريفهم بشروط الخصوصية بدلاً من أن تكون عالمية، والتشديد على إمكاناتهم نحو التقسيم والوصم، بدلاً من إعادة التوزيع والتمكين.

وعلاوة على ذلك، حتى قبل نشر هذا الكتاب (أنثروبولوجيا الرعاية) كانت هناك مطالبة من هذا الفرع المعرفي (الانثروبولوجيا) الى الكلام عن الآخرين وقد تعرض هذا الموقف لنقد كبير، ليس فقط داخل الميدان ولكن بخاصة لأولئك الناس الذين تهدف الأنثروبولوجيا إعطاءهم صوتا.

يشير الحضور المتزايد والتأثير والقبول بالاعتماد على الذات وخدمة مجموعات المستخدمين، واتحادات المستأجرين، ومنظمات المعوقين من الناس، فضلا عن مجموعة واسعة من حركات الحقوق المدنية إلى دور علماء الأنثروبولوجيا اليوم في المشاركة بمثل هذه الموضوعات أكثر من كونهم الممهد والوسيط. وقد حدثت تحولات مماثلة داخل المهن العلاجية واليات الرعاية ضمن مجال الطب الحيوي التقليدي، بل حتى المطالبة بمنهجية انثروبولوجية يكون محورها المريض أكثر مما كان يمارس في الماضي بالتأكيد على العلاج فقط (p5: 1).

وقد طور علماء انثروبولوجيا الرعاية مفهوم الضمان الاجتماعي (social security) كوسيلة لدراسة استراتيجيات مواجهة التآرجح في تطوير سياق العالم حيث ان مفاهيم نظم الرعاية القائمة على الدولة ستكون غير مناسبة في تفسيرها

للضمان الاجتماعي، اوضحوا بانه لابد يشمل دراسة القرابة والمجتمعات المحلية على حد سواء، وكذلك الدولة البيروقراطية والطبقات الأخرى الأكثر رسمية للتنظيم الاجتماعي، وانه يركز على الجهات الفاعلة، والعمليات والمؤسسات والمصالح المعنية في إنشائها. على الرغم من أن منشؤها أنثروبولوجيا التنمية، فان مفهوم الضمان الاجتماعي مثير وقد طبق لدول الرعاية التقليدية، وفي الآونة الأخيرة إلى الدول الاشتراكية السابقة في أوروبا الشرقية(3: p14).

وقد عرضت دراسة كل من (R. Read and T. Thelen) عام ٢٠٠٧ الموسومة ب(مقدمة: الضمان الاجتماعي والرعاية بعد الاشتراكية: إعادة تشكيل للخاص والعام) وجهة نظر مبتكرة في الرعاية وتوفير الرعاية في الدول الاشتراكية السابقة في القطاعين العام والخاص عن طريق الجمع بين مفهوم الضمان الاجتماعي مع منهج المساواتية او ما يعرف بالنسوية(Feminism)الى الرعاية، خاصة أن الباحثين قد استخدموا هذا المنهج لتحدي الرأي السائد بأن نهاية الاشتراكية كانت مرادفة لانسحاب الدولة من توفير الرعاية العامة. ويقر الباحثان بأن الضمان الاجتماعي اليومي ورعاية الترتيبات في البلدان الاشتراكية قد تغيرت جذريا منذ عام ١٩٨٩ - التغيير الذي هو كثيرا ما او مرارا ما يعاني كشكل من أشكال فقدان او التالف(loss) - ولكن التحذير من تفسير ذلك على انه يمثل الانسحاب withdrawal. وسيمثل ذلك الانسحاب طريقة عرض أحادية الأبعاد بدلاً من عد الدولة على انها كيانا فريداً مع حدود محددة بوضوح، والذي بدوره سيجعل من الصعب فهم الطبيعة المعقدة والمتناقضة للإصلاحات في البلدان الاشتراكية السابقة، والاعتراف بطائفة متنوعة من هيئات الدولة، والجهات الفاعلة والمؤسسات التي لا تزال تمثل شكل الحياة الاجتماعية في المنطقة(3: p15-p16).

وبدلاً من ذلك افاد الباحثان إلى أنه على الرغم من أن في فترة ما بعد الاشتراكية قد تغير الأساس المنطقي للرعاية من العالمية الى القصديّة او المستهدفة - كما

يكون في كثير من الحالات الى ان استبدال الدولة بمقدمي الخدمات، ومع الكنائس والجمعيات الخيرية والمنظمات غير الحكومية الأخرى- الا انها مع ذلك تواصل التنظيم والتوسط، و/أو تمويل لهذه الخدمات. ثانياً، أنهما يقترحان إلى أن نموذج انسحاب الدولة يغلق بدلاً من أن يفتح آفاقاً للاستفسار وعروض تحليلية معدودة تركز على إعادة تشكيل أماكن العام والخاص، والاخلاقيات والشخصانيات التي تأخذ موضعها.

أنهم يجسدون وجهة نظرهم مع قضية الخصخصة التي اتخذت أشكالاً كثيرة، مع المساحات الخاصة سابقاً، والممارسات والذوات وشبكات يجري إدماجها في الحقائق الاجتماعية-الاقتصادية الجديدة، بما في ذلك تشكيل الأساس للمؤسسات غير الحكومية العامة الجديدة في البلدان الاشتراكية السابقة.

يذكر Read and Thelen بأن الدولة لا تزال قوة رئيسية في توفير الرعاية حتى في ظل الظروف التي يتم فيها تقديم تفسير تقليدياً مثل انسحاب الدولة الذي يؤيد رأينا من أن الرعاية لا تزال عامل اختزال مناسب للإشارة إلى تلك الممارسات المتنوعة للانفاق والاهتمام التي يتسم بها كيان الدولة.

### الرفاه في المنظور الانثروبولوجي:

أجمعت القواميس والمعاجم على صياغة عامة للمصطلح يمكن صياغتها بالتعريف الاتي: حالة الكيان التي توصف بالصحة والمبهجة او الميسورة. أو قد يشير الرفاه إلى أي من هذه الصفات الثلاث، ولكن الحقيقة في أن توضع هذه المصطلحات الثلاثة معا في تحديد ينطوي على الترابط.

ولكن ما هي علاقة المبهج إلى الصحي والميسور؟ المعروف ان الصحي يشير إلى حالة مؤكدة لجسد واحد، والميسور إلى حالة مؤكدة واحدة للشؤون المالية او الايرادات. كل من هذه يمكن أن يسهم في الابتهاج، انهما حالة مؤكدة لعقل واحد،

وربما بعضنا يعرف الصحي بدنيا، والميسور ماليا والمبهج رغيد الحياة مع هذا ان السمات الثلاث تشير إلى حالات مؤكدة في عوالم او حقول مختلفة التي قد تكون سويا ولكن قد لا ترتبط بالضرورة.

على الرغم من ذلك، هذا التعريف المشترك قد يعطي إحساسا بما يعني أننا عندما نستخدم مصطلح رفاه ضمناً وأنه يجري كذلك نفسياً وجسدياً، واجتماعياً اقتصادياً، وينبغي أن نضيف، ثقافياً: أي ان كل هذه الأشياء تعمل معا (p3: 4).

جمالية هذا المصطلح(على مستوى توجهاتنا الاكاديمية) أنه يجمع الجوانب الموضوعية والذاتية، ويمكن لكلاهما من دراسة ما تعنيه السعادة او النعيم بالضبط، انه مثل المعاني والاحاسيس التي نلمسها في سياقات ثقافية مختلفة، وأيضا النظرة المفصلة بشكل اكبر، مما يتيح على الأقل إمكانية المقارنة المجتمعية. وإذا نحن ذاهبون لاستكشاف دلالات البشرية الأوسع من السعادة، إذا ذلك المصطلح نفسه ربما ينبغي أن يكون أفضل عند وضعه بجانب مصطلح البشرية أوسع نطاقا.

الرفاه ليس على وجه التقريب المشترك مع اصطلاح السعادة، على الأقل ليس في الأدب الشعبي، بل أنه أيضا قد انفجر في استعمالته الخاصة على مدى العقدين الماضيين، وأصبح تعبير مهما للعلوم الاجتماعية مثل الاقتصاد والصحة العامة، وعلم النفس، ومن دون الانثروبولوجيا (p4: 4).

وقد أصبح المصطلح مستعملا على نطاق واسع لمجموعة متنوعة من الأسباب. أحد هذه أسباب هو الاستعمال المتزايد له في أعمال الاقتصاديين بوصفه أساسا لفهم الكثير من التدابير مثل الدخل - تحديد مستوى المعيشة - على الرغم انه لا يمكن أن يقول لنا تماما حول ما الذي يجعل حياة جيدة أو لا في أماكن مختلفة. وهكذا يتجه السعي لان يكون أوسع نطاقا، وذو قياس أفضل. والسبب الآخر، مختلفة تماما حيث أن المهن الطبية أصبحت متزايدة وندرك أن مجرد إبقاء الناس على قيد الحياة،

في عصر فيه سرعة تطور التكنولوجيا الطبية، غير كافياً؛ بدلاً من ذلك، رفاة الأفراد يجب النظر إليه أيضاً عن كثب النظر. وهناك سبب آخر أن يكون العديد من علماء النفس في العقود الأخيرة قد تحولت دراساتهم من دراسة الأمراض العقلية إلى دراسة الصحة النفسية:

وكثيراً ما يستعمل مصطلح الرفاه التبادل مع عدد من المصطلحات الأخرى. كالرفاه ونوعية الحياة ويبدو مرادفاً تقريباً عند استعماله في مجموعة من التخصصات، كما هو الحال في مجالات متنوعة كالطب والتأهيل والاقتصاد والفلسفة. ويستعمل أيضاً في بعض الأحيان مترادف مع العافية والصحة. ويستعمل أيضاً في طريقة التي يبدو مرادفاً للحياة الارتياح (p5: 4).

ويميز علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد على تصوير الرفاه على أنه العيش في بيئة جيدة، بينما يميز علماء النفس، فضلاً عن عدد من المتخصصين في الرعاية الصحية إلى تصوره على أنه مجهز بشكل جيد للتعامل مع مشاكل الحياة

يرى الاستاذ (R.Veenhoven) في كتابه (المقاييس الموضوعية للرفاه) عام ٢٠٠٤ من أن الرفاه مصطلح نموذجياً جامعاً دون معنى دقيق ولكنه بعد ذلك يحاول تقديم تركيبات أوسع للمصطلح عند الجمع بين الخارجي والداخلي، والهدف والأوضاع الذاتية والربط بين الفرد والمجتمع ليستتبط تعريفاً على أنه: حالة مؤكدة للأمور، الناجمة عن الارتياح المتزامن للاحتياجات الشخصية والعلائقية، والجماعية للأفراد والمجتمعات المحلية. فالرفاه يتضمن مجموعة متنوعة من العوامل الموضوعية مثل الكيان الصحي الآمن (من الجريمة أو العنف)، الآمن مالياً أو إيرادياً، وإمكانية الوصول إلى الموارد، بما في ذلك التعليم، والثقافة، والطرق والنقل. ولكن مع ذلك أنه يشمل أيضاً عوامل الذاتية أكثر مثل أن يكون الكيان سعيداً...

وذو شعور متصل بالمجتمع المحلي الذي ينتمي اليه، ولديه القدرة على التعامل مع أحداث الحياة السلبية التي يمر بها (5 p:45).

ان الرفاه هو إقامة حالة أمثل لفرد والجماعة والمجتمع والعالم ككل. وهو تصور، يعرب عنه ذوي الخبرة بطرق مختلفة وفقا لاختلاف الأفراد بل وضمن السياقات الثقافية للمجتمعات المختلفة: فالمجتمعات المختلفة قد تصور ثقافيا شكلا مختلفاً واضحاً للرفاه. ومع ذلك، يتحمل الرفاه درجة من القواسم المشتركة نظراً للترابط الإنساني المشترك عبر الزمان والمكان. ويمكن اختبار الرفاه بالأفراد - يكمن في محور أساسي ضمن الذاتية الفردية - ولكن قد ينظر اليه بعين الاعتبار والمقارن شخصياً والمتداخل ثقافياً، حيث يعيش جميع الأفراد داخل عوالم خاصة مع الآخرين، وجميع المجتمعات تعيش في عالم مشترك بوجه عام (5: p45-p46).

ورسمت الباحثة السيسولوجية (E. Sointu) عام (٢٠٠٥) في دراستها (بزوغ المثالية: اقتفاء أثر التغير في الخطابات المعنية بالرفاه) صورة الرفاه في المؤتمرات والندوات والبرامج المعنية بالرفاه: لقد أصبحت موضوعة الرفاه مرتبطة مع قضايا المرأة والأنشطة الشخصية والسهلة نسبياً، وعموما الممتعة والتي كانت تصورهما بسذاجة بوصفها الكيان الحسن للشخص. وانه المستعمل أصلاً لمناقشة سير عمل الدولة، وفيما يتعلق بالهياكل الاجتماعية الأوسع نطاقاً... لقد أصبحت ممارسات الرفاه مسألة تجارية متزايدة وان اعامها هو لإضفاء طابع أكبر للمستهلكين. مما يدل على ان (Sointu) تحول المعنى من الكيان السياسي إلى الكيان الشخصي.

ومع ذلك تظل مسألة المصطلحات حساسة كما أثبت ذلك الاستاذة (W. James) في دراستها (الرفاه: لمن الراي، ومن الذي يدفع؟) المنشورة في الكتاب الذي حرره الاستاذ (C. Jiménez) عام (٢٠٠٨) بعنوان (في الثقافة والرفاه: المناهج الانثروبولوجية للحرية والأخلاق السياسية)

اذ وفقا للاستاذة (James) ان للرعاية والرفاه دلالات مختلفة. وان الصياغة الاولى يمكن تخليها فقط في كل اجتماعي أكبر، ولكنها مريكة عند محاولة تطبيقها النهائي لمصالح خارج الحياة المباشرة للأشخاص الفرديين ودائرتهم الضيقة. حتى الآن، التركيز على الرفاه قد أعطاه مصداقية جديدة في الخطاب السائد حاليا لليبرالية في السياسة والاقتصاد واصطبغ بها مع القدرة على وصف الأنشطة التي من شأنها سابقا ان تعد من عمل الرعاية. في حين مثل خفة اليد اللغوية هذه تجعل مسألة عدم توفير الاحتياجات الاجتماعية الأساسية الحقة غير المرئية تقريبا كما أنها سمحت لتوفير المساعدات التي كانت أقرب إلى المفاهيم التقليدية للرعاية (6: p180).

ومن المثير للاهتمام، ان اساسات (James) لها برهان او حجة في أنشطة المنظمات غير الحكومية التي تقدم المعونة للاجئين السودانيين في إثيوبيا مثلا. بيد أنها تشير أيضا إلى أهمية استمرار الحكومات في تقديم مثل هذه المعونة وان الحصافة توضح القيود المفروضة على لغة او اسلوب الرفاه على المدى الطويل، لأن رفاه الفرد لا ينفصم ومرتببط بالاهتمامات الجماعية التضامنية، مثلها كمثل بقاء او ديمومة الجماعات الاثنية لبنائها الديمغرافي والمحافظة عليا بالممارسات اليومية والفعاليات الاجتماعية وبأسلوب مميز للحياة، وهذا العرض الذي قدمته (James) يعني استعمال مفهوم الرعاية بدلا عن الرفاه بوصفه المستعمل بأسلوب فردي وبإزالة الصفة السياسية عنه (غير مسيس).

يمكن وصف توجهات كل من (G. Mathews and C. Izquierdo) بالمنهج الأنثروبولوجي التقليدي في الكتاب الذي عملا على تحريره الموسوم ب(مساح للسعادة: الرفاه في المنظور الأنثروبولوجي). اذ تركز اهتمامها على الرفاه بتعريفه على انه الحالة الامثل بالنسبة للفرد والمجتمع المحلي، والمجتمع، والعالم وبوصفه يمثل الكل، وليس استكشاف ما يعنيه العيش كما ينبغي في مختلف الثقافات وإنما هي أيضا في البحث عن المسلمات الأساسية الرفاه البشرية العالمية.

ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام: الجانب النظري، الذي توجه نحو التعريف بمفاهيم الرفاه في المجتمعات الصغيرة، وكيفيته في المجتمعات ككل او على نطاق واسع، وكيفية التعبير عن الملذات الجسدية وتجربة المشهد الذاتي والجهود التي تبذلها الأسر مع الأطفال ذوي الإعاقة.

اتجه الاستاذ(N.Thin) في الفصل الأول من الكتاب الى توجيه نقدا قويا لتجاهل الانثروبولوجيا الاهتمام بالرفاه والسعادة والحياة الطبيعية، بل وحتمية دراسة الرفاه انثروبولوجيا، بينما يناقش(N. Colby) في الفصل الثاني التساؤل الاتي: هل القياس للرعاية الثقافية محتملة ام مرغوبة؟ اذ يهدف هذا الفصل إلى تقديم نظرية للرفاه الذي يرتبط بنظرية للثقافة بوصفها العالم الذاتي مع علم الأحياء.

أدخلت الفصول الاثنوغرافية مفاهيم مختلفة للرفاه التي تقع في بيئات معينة، وفي عددا من الممارسات، وفي أشكال التنظيم الاجتماعي. وتبين دراسات المجتمعات وعلى نطاق واسع أن السعادة متجذرة في مختلف التوجهات الاجتماعية التي تتمحور - أما كإدراج الرغبات الفردية نحو اهتمامات أوسع، وتطوير منافذ الممارسة الفردية لأي واحد، أو إيجاد توازن بين هذين القطبين(المحتمل او المرغوب).

ويناقش الاستاذ(C.Jiménez) في دراسته(الرفاه في الموازنة الأنثروبولوجية: ملاحظات عن التناسب بوصفه المخيال السياسي)من استعمال الأشخاص كمقياس للرفاه، واقترح مفهوم النشاط الاجتماعي المتناسب(proportional sociality)-أي ما نفهمه كمزيج من التحليل الاجتماعي ونظرية الأخلاق - بوصفه أداة لدراسته.

أنه يستعمل مفهوم التناسب للتخفيف من حدة ما يراه من إخفاقات لكل من خبراء الاقتصاد وعلماء الأنثروبولوجيا، اذ يفضل الأول(الاقتصادي)ان يعمل مع الكل بينما يركز الأخير(الانثروبولوجي)اهتمامه على العلاقات وعلى حساب الكل، بما في ذلك المجتمعات(6: p183-p184).

إذا النشاط الاجتماعي المتناسب وفقاً لـ (Jimenez) يسلط الضوء على العوامل التي يعمل بها الأشخاص في توسيع مشاريع سيرتهم الذاتية وأنه يتعلق بالفاعلية والوسائل والموارد اللازمة لتعديل العلاقات التي تشكل الأشخاص.

هذا التركيز على الامتداد يضع الرفاه في سياق شخصيته، ويفتح الأسئلة من حيث أين تقع الرفاه وما حجمه. وهكذا يصبح الاجتماعي الشخصي، أو على حد تعبير (Jimenez) الأشخاص هم سند الحياة الاجتماعية البسيط المعرب عنه في الأشكال أو الصور المنبثقة للنشاط الاجتماعي المتناسب (أي السيرة الذاتية)

بعد أن أسس (Jimenez) كيف يمكن لمفهوم النشاط الاجتماعي المتناسب أن يغير المناهج الأنثروبولوجية نحو دراسة الرفاه، أخذ بعد ذلك يعين كيف يمكنه تحديد الفعل في أعمال فلاسفة الاخلاق والاقتصاديين الذين حاولوا تقدير الرفاه، وتتبع وجود هذا المفهوم من خلال مفاهيم التجميع والتوزيع والتناسب لكل من أعمال أرسطو، وأفلاطون، وهوبز ودريدا، ونحن نرحب بمشروعه لأخذ الشخص، على أنه المفهوم كامتداد للعلاقات الخاصة به بدلاً من أن يكون كمجرد مرادف للفرد أوروبي-أمريكي، بوصفه مقياس الرفاه.

## الخاتمة:

الاعتقاد السائد بان الرعاية تستند إلى الافتراض او المسلمة التي تشير الى ان البعض أكثر اعتماداً من غيرهم، ومن الضروري حصولهم على نوعا من المساعدة التي تتدرج ضمن مفهوم الرعاية، اذ يذهب (R. Titmuss) في فلسفة الرعاية إلى القول بان مفاهيم الحاجة والتبعية في الوقت نفسه قد تأثرت عميقا بالتغيير التكنولوجي والصناعي والاجتماعي الذي تمر به البشرية على طول امتدادها التاريخي.

حاول البحث ان يسلط الضوء على مفهوم الرعاية والرفاه من وجهة نظر الانثروبولوجيا الذي تفتقر اليه أدبياتنا الاكاديمية المحلية على ادنى تقدير، وربما حتى على المستوى الدراسات العربية، ولعل اعتماد الانثروبولوجيا مفهوم المجتمع المحلي أساسا راسخا في دراسة الرعاية يعد خطوة مهمة قد اغفلتها السياسات الاجتماعية والاقتصاديات المعنية أصلا بموضوع الرعاية، لقدرته في فحص وايصال البرامجيات وتقديم الخدمات على اكمل وجه، وليس الاعتماد فقط على المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية في التنفيذ، كما اقترنت الانثروبولوجيا هذا المفهوم(المجتمع المحلي)بمفهوم أساس هو الضمان الاجتماعي الذي يفتح دائرة النقاش بشكل أوسع وبيان اهم الوحدات البشرية التي تشترك بتقديم الرعاية وصولا الى الرفاه مثال ذلك دائرة الاسرة والجيرة والقرابة والتجمعات المحلية...

المصادر:

1. Edgar, I. R. and A. Russell (1998) (eds.), **the Anthropology of Welfare** (London: Routledge).
2. Clarke, J. (2004), **Changing Welfare, Changing States: New Directions in Social Policy** (London: Sage).
3. Read, R. and T. Thelen (2007), ‘**Introduction: Social Security and Care after Socialism: Reconfigurations of Public and Private**’, Focaal: European Journal of Anthropology 50.
4. Mathews, G. and C. Izquierdo (eds.) (2009), **Pursuits of Happiness: Well-being in Anthropological Perspective** (New York and Oxford: Berghahn).
5. Veenhoven, Ruut. 2004. "**Subjective Measures of Well-Being.**" Discussion Paper No. 2004/07, United Nations University,
6. Corsín Jiménez, A. (2008), ‘**Well-being in Anthropological Balance: Remarks on Proportionality as Political Imagination**’, in *Culture and Wellbeing:*

*Anthropological Approaches to Freedom and Political Ethics,*  
(ed.) A. Corsín Jiménez (London: Pluto).